

الموروث النقدي و الأدبي في المغرب العربي قبل القرن السابع الهجري

Critical and literary legacy in the Maghreb before the 7th century AH

الطاهر شكيم^{1*} ، محمد خليفة²¹جامعة عمار ثليجي الأغواط، مخبر التداولية وتحليل الخطاب chakem.taher@yahoo.com²جامعة عمار ثليجي الأغواط، مخبر التداولية وتحليل الخطاب didifarid6464@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/04/28 تاريخ القبول: 2021/05/10 تاريخ النشر: 2022/06/05

ملخص:

يتناول هذا البحث مجموعة من النقاد المغاربة ومؤلفاتهم قبل القرن السابع هجري، وهؤلاء النقاد نذكر منهم: عبد الكريم النهشلي وكتابه "المتع في صنعة الشعر" ومن القضايا التي يعالجها "مفاضلة الشعر على النثر"، ونجد القزاز وكتابه: "ما يجوز للشاعر في الضرورة" يتكلم فيه عن الضرورات الشعرية، ليكون حجة للشاعر يدافع بها عن نفسه عند وقوعه في التجاوزات الشعرية، ثم تطرقنا إلى ابن الرشيقي وكتابه "العمدة" الذي ذكر فيه حل المسائل النقدية ومن كتبه أيضا "قراضة الذهب" و "أنموذج الزمان في شعراء القيروان" و بعد ابن رشيقي ذكرنا كتاب "زهر الآداب وثمر الألباب" للكاتب الحصري القيرواني، قصره صاحبه على فنون القول من شعر ونثر وختمنا بحثنا بابن شرف وكتابه "رسائل الانتقاد" وهو كتاب نقدي.

الكلمات المفتاحية: الموروث، مصادر، القرن السابع، النقد المغربي.

Abstract:

This research examines a group of maghrebian critics and their authors before the seventh century Hijri. These critics include: We find Al-Qazzaz and his book, "What a Poet May Do", in which he speaks about poetic necessities. This is an argument for a poet to defend himself when he falls

* المؤلف المرسل : د. الطاهر شكيم.

into poetic transgressions. We then touch upon Ibn Al-Rashiq and his book, "The Mayor," in which he mentioned most of the monetary issues.

Keywords : legacy, resources , 7th century , maghrebian criticism

1. مقدمة:

على مر التاريخ كانت إفريقية أو المغرب العربي أو ما يسمى بقرطاجنة كانت حاضرة علم و أدب، وذلك لتعاقب الحضارات الكثيرة عليها وخاصة الحضارة العربية و الإسلامية التي كانت حضارة العلم والأدب والنقد بامتياز، وفي هذا البحث سنحاول أن نعرف ببعض الأعلام الذين طوقت شهرتهم الأفاق ذاكرين مصادرهم التي ألفوها معرفين بمحتوياتها، وقد اخترنا خمسة من النقاد وهم: عبد الكريم النهشلي وكتابه "المتع في صنعة الفكر"، القزاز وكتابه: "ما يجوز للشاعر في الضرورة"، ابن الرشيق القيرواني وكتابه "العمدة"، الحصري القيرواني وكتابه "زهر الآداب وثمر الألباب"، وابن شرف وكتابه "رسائل الانتقاد".

والسؤال الذي نطرحه ماهي مكانة هؤلاء النقاد في سلم النقد والأدب العربي عموما والمغربي خصوصا ؟ و ماهي الموضوعات التي تناولوها في مؤلفاتهم؟.

ويهدف هذا البحث للتعريف بأعلام المغاربة وجهودهم، والمبتغى الذي نصبوا إليه هو إبراز هذا المخزون النقدي والأدبي لطلابنا، آمليين أن يكون دافعا لهم لدراسة تراثهم، وتحقيق مخطوطاته.

2. النهشلي :

هو أبو محمد عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي الجزائري المتوفي بالمهدية سنة (ت405هـ) أصله من المسيلة وقد تسمى الحمديّة (قلقيلة، 1988، ص73)

وقد عاش في بلاط المعز الذي كان يولي العلماء والأدباء والشعراء مكانة خاصة، وقد تتلمذ على يديه أشهر علماء هذه المنطقة وعلى رأسهم ابن رشيق القيرواني.

ولقد كان النهشلي شاعرا وكتابا وناقدا ، ثم هو بعد عالم من علماء اللغة وخبير بأيام العرب ، ويظهر أن إخلاصه لعلمه وأدبه كان أكثر من إخلاصه للحياة العامة (قلقيلة، 1988، ص74)

ولقد كانت له مؤلفات عديدة ضاعت كما ذكر تلميذه صاحب العمد، وبقي له كتاب نفيس اسمه " الممتع في صناعة الشعر".

1-2 الممتع في صناعة الشعر :

كتاب الممتع من أوائل كتب النقد المنسوبة إلى المغرب العربي القديم ، وهو من الكتب التي دعت إلى التحرر في معالجة النصوص من الأحكام المسبقة ، ومن أكثرها تأثير على النقاد القرويين والأندلسيين ، وذلك بمكانة صاحبه العلمية ، وقد بدأ كتابه بنبذة موجزة عن فضل الشعر عند العرب ويبين لنا موقف النبي صلى الله عليه وسلم منه ، ثم أخذ يفصل في عدة أبواب مرتبطة بالبيان وبقيمته .

ويفيد محمد مرتاض الرأي القائل بأن النقد المغربي بدأ في القرن السادس الهجري بل يراه بدأ في « النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة هو الذي يمثل ذلك في الجزائر علي يد عبد الكريم النهشلي في كتابه الخاص المرسوم ب: "الممتع في علم الشعر وعمله (مرتاض، 2000، ص38)

وقد تجلّت أهمية هذا الكتاب في تركه أثراً واضحاً على كتاب " العمد " واشتراكهما في التصدي لقضايا نقدية واحدة، كالميل إلى مفاضلة الشعر على النثر، والاعتماد على الآراء والأخبار والكتب الأكثر رواجاً والأكثر أهمية وقد اعتمد التقرير والجزم.

وقد خلّص النهشلي من خلال كتابه النقدي ، أن الشعر من أجمل وأجل فنون العرب ، وذلك من خلال الخصائص الموجودة فيه ، وارتباطه بحياة العرب يقول في تعريفه : الشعر عند العرب هو الفطنة، ومعنى قولهم ليت شعري أي ليت فطنتي والشعر عندهم أبلغ البيانين ، وأطول اللسانين وأدب العرب المأثور وديوان علمها المشهور (مرتاض، 2000، ص6)

ويرى بأن له أفضلية على النثر والخطابة وغيرها من سائر ضروب البيان إذ يقول : وأفضل بيان العرب أفصحه، ما أداه عنها الشعر الجاري على ألسنتها بالبلاغة المحكمة ، والحكمة المتقنة الباقية ، مضمنا حكمها وسائر أمثالها شاهداً على أحسابها ، وكريم أفعالها مخبراً عن مروءتهم في سالف أيامها (مرتاض، 2000، ص6)

3. القزاز :

هو عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيرواني التميمي (القزاز، 1982، ص8) ، ولد بالقيروان في حدود سنة (322هـ) ، وقرأ بها على علمائها ثم ارتحل إلى المشرق وأخذ فيه عن أئمة العلم والأدب. (قليلة، 1988، ص114)، انتقل إلى مصر مع جملة من العلماء الذين رحلوا إليها، وقد اتصل بالخليفة الفاطمي المعز لدين الله سنة (361هـ)، قبل أن ينتقل إلى مصر، وألف له بأمر منه كتاب " الحروف " (القيرواني، 1982، ص9).

اتصل بالمشرق مع صاحب " الموازنة " الآمدي، وروى عنه أخباراً لبعض الشعراء العباسيين أمثال مسلم بن الوليد ، وأبي نواس ، عُرف بحبه واهتمامه بالعلم وطلبه وتعليمه ، ومن أهم كتبه : كتاب " الحروف " و"إعراب الدريدية " ، " المعترض " ، " شرح رسالة البلاغة " ، " ما أخذ عن المتبني من اللحن والغلط " ، " معاني الشعر " (القزاز، 1982، ص91).

توفي القزاز سنة (412هـ) بالقيروان ، ومن تلامذته النجباء : الحسين بن محمد التميمي ، أحمد بن مكي بن أبي طالب، عبد الرحمن بن عبد الله المطرز، ابن رشيقي وابن شرف وفي كتاب " أنموذج الزمان في شعراء القيروان " لابن رشيقي ترجمة مسهبة لأستاذه القزاز ومما جاء فيه قوله « فضح أبو عبد الله المتقدمين وقطع ألسنة المتأخرين ، كان مهيباً عند الملوك والعلماء وخاصة الناس محبوباً عند العامة قليل الخوض إلا في علم دين أو دنيا ، يملك لسانه ملكاً شديداً له شعر مطبوع مصنوع ربما جاء به مفاكهة ومالحة من غير تحفز ولا تحفل يبلغ بالرفق والدعة على الرحب والسعة أقصى ما يحاوله أهل القدرة على الشعر من توليد المعاني وتوكيد المباني (قليلة، 1988، ص115).

3-1 ما يجوز للشاعر في الضرورة :

يتكلم فيه عن الضرورات الشعرية وهو موضوع لغوي ألف فيه كثير من النقاد والأدباء وقد نشر الكتاب بعنوان " ضرائر الشعر أو ما يجوز للشاعر في الضرورة " كما كتب على الصفحة الأولى من النسخة المنقولة عن نسخة بخط الشاعر القيرواني عبد الرحمن بن عبد الله المعافري المطرز ، وحققه محمد

زغلول سلام ، ومحمد مصطفى هدارة واضعا العنوان الثاني " ما يجوز للشاعر في الضرورة " ، وقد ذكر في بغية الوعاة، وفي هداية العارفين ، وكشف الظنون باسم " ضرائر الشعر ". (القزاز، 1982، ص2).

يذكر في فاتحة كتابه موقفه من الضرورات وإجازتها للشعراء يقول: هذا كتاب أذكر فيه إن شاء الله ما يجوز للشاعر عند الضرورة من الزيادة والنقصان ، والاتساع في سائر المعاني من التقديم والتأخير، والقلب والإبدال وما يتصل بذلك من الحجج ، وتبيين ما يمر من معانيه فأرادته إلى أصوله ، وأقيسه على نظائره (القزاز، 1982، ص26).

وقد بين حاجة الشاعر لمعرفة الضرورات ليكون له حجة يدافع بها عن نفسه عندما يقع في تجاوزات شعرية وقد قال القزاز في هذا الشأن: وهو باب من العلم لا يسع للشاعر جهله ولا يستغني عن معرفته ليكون له حجة لما يقع في شعره مما يضطر إليه من استقامة قافية أو وزن بيت أو إصلاح إعراب (القزاز، 1982، ص26). ويدل على أنه : « من طلب عيبا وجده ، ومن طلب مخرجا لم يفته »

ونراه يلتبس الخارج لما أخذ على الشعراء من هذه العيوب، فيذكر مثلا، ما أخذ على المرقش في قوله يذكر امرأة:

صحا القلب عنها على أن ذكرة إذا خطرت دارت به الأرض قائما

فقد قالوا: كيف يصحوا عنها من إذا ذكرت، دارت به الأرض ؟ ويدافع ما عابوه بقوله: وهذا أيضا من العنت، لأنه يريد أنه ترك طلابها على أنه في هذه الحال من الوجد بها (القزاز، 1982، ص29).

فهو هنا يحاول أن يجد مخرجا للشاعر بقراءته للبيت من زاوية أخرى ترفع عنه الحرج والتناقض، ويحاول في مثال آخر تصويب المعنى في قول زهير بن أبي سلمى يذكر الضفادع:

يخرجن من شربات ماؤها طحل على الجذوع يخفن الغم و الغرقا

فقد عابه العلماء بقولهم: ليس خروج الضفادع من الماء، مخافة الغم والغرق إذا كانت حياقن إنما تكون مع كثرة الماء، ولكن القزاز يرد ما عابوه بقولهم: وهذا أيضا ليس بعيب، وإنما أراد التبالغ أن يخبر أن

هذه الضفادع التي إنما حياتها مع كثرة الماء، قد زاد الماء عليها حتى صارت تهرب منه، وجعل خوف الغم والغرق، لأنه عادة من هرب من الماء من الحيوان (القزاز، 1982، ص 29) .

فهو يتحكم في هذا الباب إلى قاعدة لا يعذر الجاهل في هذا العلم (القافية) بجهله ومما استدرك على هذا الكتاب منهجيته الغير متناسقة بحيث لم يجمع فيه التّظير إلى نظيره ، والمسالة إلى ما يشاكلها، بمعنى أنه لم يلتزم جميع مسائل الضرورة المتصلة بالإعراب، ومسائلها التي ترجع إلى الحذف والأخرى التي تكون موضوعها زيادة ، ومسائلها التي إلى الحذف، والأخرى التي يكون موضوعها الزيادة (القزاز، 1982، ص 30).

كما أنه عنده استشهاده بأقوال العلماء السابقين يضرب صفحا عن قائلها مستعملا اللفظ العام (قالوا)، (قال قوم)، (أنكر بعض أهل النظر). وقد غلبت على هذا الكتاب كثرة الشواهد بالنظر إلى حجم الكتاب ويعتبر الكتاب ذا أهمية كبيرة وذلك لقلّة التأليف في هذا الموضوع " فلم يسبقه إلا كتاب " ضرورة الشعر " لأبي العباس المبرد (ت 285هـ)، وهو مفقود ولم يؤلف بعده إلا كتاب " ضرائر الشعر " لأبي عصفور الاشيلي (ت 663هـ)، وهو مطبوع في بيروت سنة 1980، وكتاب " موارد البصائر لفرائد الضرائر " للشيخ محمد سليم (ت 1138هـ)، وكتاب " الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر " للسيد محمود شكري الألوسي (ت 343هـ). (القزاز، 1982، ص 3).

ويحتوي كتاب القزاز على شواهد تفرد بها حسب رأي المحققين وفي ختام كتابه بين أن الشعر لا يخلو من الضرورة وذلك «لضيق الشعر ومايو جبه الوزن والروي ، ومن كان متكلمًا فهو في فسحة من لفظة أن يضطر إلى معيب منه ، ونحن وان لم نخط بكل ما يجوز له ، فقد جئنا بأكثره ، وكلام العرب اخذ بعضه برقاب بعض ففي ما جئنا به دليل على ما شذا عنا وحسبنا الله ونعم الوكيل (القزاز، 1982، ص 360).

4. ابن رشيق القيرواني:

هو أبو الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني أحد الأفاضل البلغاء له التصانيف المليحة (ابن خلكان، 1972، ص85)، يقول عنه ابن بسام في الذخيرة: بلغني أنه ولد بالمسيلة وتأدب بها قليلا ثم ارتحل إلى القيروان سنة ستة و أربعمائة (406هـ) (الشنتريني، 1979، ص597).

وقيل أنه ولد بالمهدية سنة تسعين وثلاثمائة (390هـ)، وأبوه مملوك رومي من موالى الأزد وقد تانت نفسه إلى التزود بالعلم ، وملاقة أهل الأدب فرحل إلى القيروان والتي كانت حاضرة العلم و مهوى العلماء ، وبعدما غشي القيروان أسطول الروم الذي بدا بالتقتيل والخراب انتقل إلى جزيرة صقلية ، وأقام بماز إلى أن توفي سنة (463هـ)، ويقول بن خلكان: ورأيت بخط بعض الفضلاء أنه توفي سنة (456هـ) (ابن خلكان، 1972، ص86)، لكنه يرجح أنه توفي سنة (ت 463هـ)، ولا بن رشيق تأليف كثيرة تربو عن ثلاثين مؤلف نذكر منها : " العمدة في محاسن الشعر وآدابه "، وكتاب " أنموذج الزمان في شعراء القيروان "، وكتاب " قراضة الذهب في نقد أشعار العرب "، وهذه الكتب الثلاثة هي كتب نقدية بامتياز كما أن له " ديوان شعر " فقد كان شاعرا مجيدا.

1-4 العمدة في محاسن الشعر وآدابه:

كان لابن رشيق صديق اسمه الحسن علي بن أبي الرجال (426هـ)، وكان رئيس ديوان الإنشاء في قصر المعز بن باديس الصنهاجي، ألف له هذا الكتاب هدية منه ،وقد مدحه كثيرا، في أول الكتاب وفي آخره يقول فيه في آخر الكتاب يمدحه ويقدم له هذا الكتاب هدية.

إن الذي صاغت يدي وفمي وجرى لساني فيه أو قلمي (قلقيلة، 1988، ص163).

يعد كتاب " العمدة " من أحسن التأليف التي ألفت في النقد، وذلك لما حواه من معلومات دقيقة حول الشعر وقضاياه، فهو وإن شابه كتب المشاركة كالموازنة و الوساطة إلا أنه جاء مصقولا بتجربة ذاتية عالية وبحضور عقلي مميز مما جعله متميزا على كل ما تقدمه من الكتب (مقلاقي، 2008- 2009 ص28).

والقارئ لهذا الكتاب يجد أن الرجل كان موسوعة فها هو بشير خلدون يطلعنا في كتابه " الحركة النقدية على أيام ابن رشيق "، يذكر لنا الكتب التي اطلع عليها ابن رشيق وأخذ منها عن الجاحظ في باب البلاغة والتضمنين، وعن ابن قتيبة (ت 270هـ) الجاز واللفظ، وعن عبد الله بن المعتز (ت 296هـ) التصدير الالتفات والتشكيك والتضمنين، وعن ابن طباطبا (ت 322هـ)، موضوعات الشعر، وعن قدامة بن جعفر (ت 337هـ)، الترصيع والتمثيل والتشبيه والتواشيع ، والتسهيم والتفسير والالتفات والإيغال، وفي موضوع الشعر عن علي ابن هارون المنجم (ت 352هـ) التسهيم، وعن الآمدي (ت 371هـ) المبدأ وحسن الخروج والنهاية، وعن الجرجاني الاستعارة والتشبيه والتجنيس والسراقات الشعرية، وعن الرمازي (ت 382هـ) الإيجاز والاستعارة والتشبيه. (خلدون، 1981، ص 27).

مع كل هذه المؤلفات التي اطلع عليها، فالرجل كان له حضوره ودوره في مؤلفه فهو لم يكن مجرد آلة تعيد كل ما تسمعه، ولم يكن جسراً تعبر عبره آثار المتقدمين إلينا، فقد كان قارئاً متميزاً، وبوتقةً تصهر ما يلقي فيها ثم تخرجه للمتلقين في ثوب جديد، وذلك بفضل أعمال عقله وذكائه وفطنته، ويؤكد موقفه هذا في مقدمة كتابه في قوله: وعولت في أكثره على قريحة نفسي ونتيجة خاطري، خوف التكرار ورجاء الاختصار، إلا ما تعلق بالخبر وضبطته الرواية، فإنه لا سبيل إلى تفسير شيء من لفظه ولا معناه، ليؤتي بالأمر على وجهه (...). ، وبينت للناشئ المبتدئ وجه الصواب فيه، وكشفت عنه لبس الارتباب به حتى أعرف باطله من حقه، وأميز كذبه من صدقه (ابن رشيق، 1981، ص 17)، ويخلص عبده عبد العزيز قلقيلة إلى أن الكتاب مكون من تسعة ومائة باب موزعة على جزأين مكونين من خمسين وستمائة صفحة، ويقرر بان هذه الأبواب ليست كلها في النقد الأدبي ويبدأه بباب في فضل الشعر يقول: العرب أفضل الأمم، وحكمتها أشرف الحكم لفضل اللسان على اليد والبعد عن امتهان الجسد (...).، وكلام العرب نوعان: منظوم ومنثور ولكل منهما ثلاث طبقات جيدة، ومتوسطة، رديئة، فإذا اتفق الطبقتان، في القدر وتساوتا في القيمة، ولم يكن لأحدهما فضل على الآخر كان الحكم للشعر ظاهراً في التسمية، لأن كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة (ابن رشيق، 1981، ص 19).

وعليه يعدُّ هذا الكتاب من الكتب التي لا يمكن الاستغناء عنها في باب النقد والبلاغة والشعر والقصص والتاريخ فهو موسوعة بحق.

2-4 قراضة الذهب في نقد أشعار العرب :

قراضة الذهب إنما هي صورة ذهن ابن رشيق وتفكيره الشخصي وتفقهه لا في الصناعة الشعرية بل في ما هُدا بعد من ذلك: في الخلق الشعري على حد المصطلح العصري (ابن الرشيق، 1972، ص 6).

يردها الكثير من النقاد إلى أنها رسالة في السرقات الشعرية بينما يذهب آخرون أمثال تحقّقها الشاذلي بويحي بأنها مختصة بتتبع المعاني الشعرية ووجوه البديع في شعر الشعراء منذ أن اخترعها مخترعها، فتناولها منه من جاء بعده فزاد عليه وحسن أو قصر عنه فاحقق كل ذلك بداية من العصر الجاهلي إلى عصر ابن رشيق ، فتساير دراسته سير تاريخ الأدب مما يجعلني أزيد في ضبط روح الكتاب ومنهجته بأن أقول إنه دراسة لتطور ذلك الخلق الشعري (ابن رشيق، 1972، ص 6).

وقد عالج فيها ابن رشيق الشعر العربي وذلك بذكر الشواهد الشعرية وتحليلها معتمداً في ذلك على الجانب التطبيقي من غير الاهتمام بالتقصي والإحاطة مادام قد قام بذلك في كتابه " العمدة " وقد أشار هو إلى ذلك في سياق الحديث عن ضروب الأخذ والسرقة.

و قراضة لم تخل من القضايا النقدية التي اشتهرت في عصره وقد اعتمد فيها بشكل كبير على امرؤ القيس لأنه يراه هذا النموذج الذي يتحكم إليه، وذلك لأن مرحلة بدأ الشعر الناضج تبدأ من عنده، كما أنه استعمل شعراء كثر من جميع عصور الأدب فمن الشعراء الجاهلين زهير، طرفة والنابعة ومن الإسلاميين المخضرمين حسان ابن ثابت، ومن الأمويين ككثير عزة، مجنون ليلى، الفرزدق وعمر بن أبي ربيعة ، ومن العباسيين بشار، أبي نواس، البحتري، الصنوبري والمتنبي ومن الأندلسيين أبي هانئ، ابن دراج القسطلبي

ومن الشعراء المغاربة ذكر عبد الكريم النهشلي وشعره ومن أمثلة ما جاء في القراضة قول امرؤ القيس في باب تميم المعنى و المبالغة الشديدة في اللفظ :

إذا ركبوا الخيل واستلأموا
تحرقت الأرض واليوم قر

فقوله " اليوم قر " من تميم المعنى ومبالغة في اللفظ في شديدة ويعتبر هذا الذي فتق للشعراء هذا الفن وافتنوا فيه وتوعوه فجاءوا بالاحتراس وغيره فقال طرفة :

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمه تهمي (ابن رشيق، 1972، ص32).

من خلال اطلاعنا على كتاب القراضة يبين ابن رشيق أن بعض المعاني في متناول المبدعين والحاذاق منهم أحسن استغلالها والتفرد بها، ويقرر منذ البداية أن السرقة لا تكون إلا في الخاص المبتكر وأن هذا الأمر لا يعد عيباً، وقد سئل أبا عمر بن العلاء عن بيتي امرؤ القيس وطرفة وقد تشابه البيتين فقال: عقول الرجال توافت على ألسنتها (ابن رشيق، 1972، ص84).

وقد كان هذا كثير ما يعرض للفرزدق إما نسياناً وإلا تغلباً لأنه كان راوية للشعر أكثر منه قاهراً شعراء عصره ، مهيباً فيهم ولم يكن أحدهم يرميه بالعجز والتقصير (ابن رشيق، 1972، ص85،84). وحسب رأينا يعتبر من المؤسسين الأوائل لعلم التناص.

3-4 أنموذج الزمان في شعراء القيروان :

ذكر هذا الكتاب بعدة أسماء منها : " أنموذج الشعراء " و " الأنموذج " و " النموذج " ويرجح أن اسم الكتاب الصحيح هو " أنموذج الزمان في شعر القيروان "، وأن التسميات الأخرى إنما كانت على سبيل الاختصار والذكر وهو أمر شائع عند القدامى والمحدثين.(ابن رشيق، 1986م -1406هـ، ص20).

ولفظه القيروان لا تعني المدنية وحدها بل تعني إفريقية الصنهاجية وتمتد حتى خارج إفريقية (...). بينما لفظة الزمان تدل على الشعراء الذين عاصروا ابن رشيق وكان كثير منهم في بلاط المعز ويمتد الزمن الذي تشمله التراجم من الثلث الأخير من القرن الرابع إلى العقد الثالث من القرن الخامس(بولنوار، 2008-2009م، ص35).

وقد كان الدافع لتأليف هذا الكتاب حسب رأي المحققين إلى سببين الأول هو تدارك النقص الملحوظ في كتب " طبقات شعراء افريقية " (...). أما السبب الثاني فيتصل بموقف شخصي لابن رشيق يمكن أن نستروح منه دافعا ذاتيا إلى تأليف كتابه المذكور: فقد جاء في الترجمة التي خصصها ابن رشيق لأبي إسحاق إبراهيم الحصري ما يلي: وله تأليف جيدة في مُلَحّ الشعر والخبر، وقد كان أخذ في عمل طبقات الشعراء على رتب الإنسان وكنت أصغر القوم سنّاً فصنعت :

وفقا أبا إسحاق بالعالم حصلت في أضيق من خاتم
لو كان فضل السبق مندوحة فضّل إبليس على آدم

فلما بلغه البيتان أمسك عنه، واعتذر منه ومات وقد سدَّ عليه باب الفكرة فيه ولم يصنع شيئا (ابن رشيق، 1986، ص 24، 25)، ما يستفاد من هذا الكتاب هي تلك النصوص الشعرية التي أثبتتها في ترجماته المائة لأن أغلب الذين ترجم لهم غير معروفين.

من خلال هذه المؤلفات الثلاثة يظهر لنا أن الرجل صاحب مدرسة في النقد والشعر المغربي، وإن كان منهجه مشرقيا في طريقة الطرح.

5. الحصري القيرواني (330 - 413 هـ):

هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي إبراهيم بن تميم الأنصاري المعروف بالحصري القيرواني، والحصري نسبة إلى صناعة الحصر أو بيعها، أو إلى قرية الحصر وهي إحدى ضواحي القيروان، ولد في مدينة القيروان ونشأ بها، وتلقى العلم والأدب على أعلامها ولما فتح جوهر الصقلي مصر انتقل الفاطميون إليها ومعهم علماؤهم وأدباؤهم خلا له الجو واشتهر وصار قطباً من أقطاب الحياة الأدبية في إفريقيا (قلقيلة، 1988، ص 227).

وأخذ في تأليف الأخبار وصناعة الأشعار مما يقرب في قلوبهم فرأس عندهم وشرف لديهم ووصلت تأليفاته صقلية، توفي سنة (ت 413هـ).

وكان شاعراً نقاداً عالماً بتنزيل الكلام وتفصيل النظام يحب المجانسة والمطابقة ويرغب في الاستعارة، تشبه بأبي تمام في أشعاره (ابن رشيق، 1986، ص 45، 46).

له مؤلفات عديدة نذكر منها: " المصون في سر الهوى المكنون "، وله " ديوان الشعر "، وله كتاب نقدي وهو الذي سنحاول أن نعطيه تعريفا موجزا وهو كتاب " زهر الآداب وثمر الألباب".

1-5 زهر الآداب وثمر الألباب :

يعتبر من أبرز كتب النقد وذلك لاعتبارين الأول يتعلق بالحصري فهو كان ناقد وشاعراً والاعتبار الثاني ما تعلق بالمؤلف فقد حوى الكتاب مادة أدبية تنم على مقدرة كبيرة وذوق أدبي راق ولزهر الآداب مختصر اسمه " اقتطاف الزهر و اجتناء الثمر " ألفه الإمام أبي الحسن على ابن محمد بن برى ، وذكر حسن حسني أن الحصري نفسه قد اختصر كتابه تحت عنوان " نور الطرف و نور الظرف " ويسمى أيضا " النورين " (قلقية، 1988، ص 229).

زهر الآداب كتاب أدبي بامتياز قصره صاحبه على فنون القول من شعر ونثر وما يتصل بذلك من ضروب البلاغة وجمال الصياغة وإصابة التشبيه ، وحسن الإنشاء ، وجودة الخطابة.

وقد أبان المؤلف على محتوى كتابه عندما قال في مقدمته «فهذا الكتاب اخترت فيه قطعة كاملة من البلاغات في الشعر والخبر والفصول والفقر، مما حسن لفظه ومعناه ، واستبدل بفحواه على مغزاه، ولم يكن شارداً حوشياً، ولا ساقطاً سوقياً، بل كان جميع ما فيه من ألفاظه ومعانيه (الحصري، 1929، ص33).

وفيما يخص منهجه « فهو كتاب يتصرف الناظر فيه من نشره إلى شعره ، ومطبوعه إلى مصنوعه ، ومحاوراته إلى مفاخراته ، و مناقلته إلى مساجلته وخطابه المبهت إلى جوابه المسكت، وتشبيهاته المصيبة إلى اختراعاته الغريبة وأوصافه الباهرة إلى أمثاله السائرة وجده المعجب إلى هزله المطلوب ، و جزله الرائع إلى رقيقه البارع (الحصري، 1929، ص 34).

2-5 من أمثلة ما جاء في هذا الكتاب :

روى عن عبد الله بن العباس رضوان الله عنهما قال : وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبقان بن بدر وعمرو بن الأهتم، فقال الزبقان: يا رسول الله ! أنا سيد تميم والمطاع فيهم، والمجابه منهم، آخذ لهم حقهم ، وامنعهم من الظلم، وهذا يعلم ذلك يعني عمرا، فقال عمرو: أجل يا رسول الله،

إنه مانع لحوزته، مطاع في عشيرته شديد العارضة فيهم، فقال الزبيرقان: أما إنه والله قد علم أكثر مما قال، ولكنه حسدني شرفي، فقال عمرو: أما لئن قال ما قال: فوالله ما علمته إلا ضيق العطن، زمر المرأة، أحق الأب، لئيم الخال، حديث الغنى.

فرأى الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله فقال: يا رسول الله رضيت فقلت أحسن ما علمت، وغضبت فقلت أقبح ما علمت، وما كذبت في الأولى، ولقد صدقت في الثانية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ من البيان لسحراً ومن الشعر لحكمةً » (الحصري، 1929، ص 39).

وعليه فقد كان هذا الكتاب من أمهات الكتب وقد شهد له محمد زكي عبد السلام مبارك وهو الذي ضبطه وفصله، يقول: كان المتقدمون يعنون بدراسة الكامل للمبرد، والبيان والتبيين للجاحظ، وأدب الكاتب لابن قتيبة، والنوادر لأبي علي القالي، وكانت هذه الكتب أصول الأدب عندهم كما ذكر بن خلدون، وعندني أن زهر الآداب أغزر مادة و أكبر قيمة من جميع تلك المصنفات، لأن ذوق الحصري ذوق أدبي صرف، أما أولئك فقد كانت أهواؤهم موزعة بين اللغة والرواية والنحو والتصريف (الحصري، 1929، ص 22)، وإن دلَّ هذا على شيءٍ إنما يدل على أن الكتاب ذا قيمة كبيرة في مجال الأدب.

6. ابن شرف:

هو أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد بن أحمد بن شرف الجذامي، كاتب مترسل وشاعر مجيد وناقد مدقق، ولد بالقيروان سنة (390هـ)، في أحد البيوتات الشريفة القادمة مع الجيش العربي الفاتح (قلقيلة، 1988، ص 216).

واتصل بالمعز بن باديس أمير إفريقية جعله من حاشيته، ثم جعله من ندمائه وخاصته، «وقد كان هو وابن رشيق متقدمين عنده على سائر من في حضرته من العلماء، والأدباء فكان يقرب هذا تارة ويبدئي ذاك تارة (قلقيلة، 1988، ص 216).

واستمر ملازماً للمعز إلى أن كانت الزحفة الهلالية على القيروان وخروج المعز إلى المهديّة سنة (449هـ)، فخرج معه ابن شرف لكنه لم يطل المقام بها وتوجه إلى صقلية، ولحق به ابن رشيق هناك، وقد

كانت بينه وبين ابن رشيق منافرات ومناقضات لكنهما تصالحا عندما استوطن صقليا ،وبعدها رحل إلى اشبيلية وتوفي بها سنة (460هـ).

1-6 من مؤلفاته :

- " أبكار الأفكار " وهي عبارة عن مختارات جمعها من شعره ونثره ،
- " أعلام الكلام " يجمع فيه طرائف من الأدب
- " رسائل الانتقاد " أو "مسائل الانتقاد" وهي على شكل مقامات.

2-6 رسائل الانتقاد:

هو كتاب نقدي عبارة عن مقامات عارض فيها البديع في بابيه ، وصبَّ عليها في قلبه وقد نسجها على منحى سهل بن هارون في كتابه "النمر والثعلب "، وعلى منوال بديع الزمان الهمذاني ، وعددها فيما يزعم رواها عشرون مقامة ، إلا أنها لم تصل هذه العدة إلينا تضم المقامة الأولى نعوت أبي الريان لطائفة من الشعراء الذين سأله عنهم ابن شرف، وقد أهمل في جوابه جماعة منهم كذي الرمة وجميل وديك الجن وابن جدار المصري، وتضم الثانية بحثاً في نقد الشعر يقول في مقدمة كتابه مبينا لنا مدى إبداعه وبراعته وطريقة نهجه فيها، هذه الأحاديث صنعتها مختلفة الأنواع ،مؤلفة في الأسماع عرييات المواشم، غرييات التراجم ، واختلفت فيها أخبارا فصيححات الكلام ، بديعات النظام، لها مقاصد ظراف، و أسانيد طراف، يروق الصغير معناها، والكبير مغزاها، وعزَّوْها إلى أبي الريان الصلت بن السكن، من سلامات ، وكان شيخا هماً في اللسان، وبدراً تماً في البيان ، قد بقي أحقابا ، ولقي أعقابا (ابن شرف، دت، ص2)

وتبدأ المقامة الأولى بجوار بينه وبين الريان يدور هذا الحوار حول الشعر والشعراء ومنازلهم في جاهليتهم وإسلامهم، فبدأ محمد يعددهم وذكر المشهورين مثل الضليل ، و القتيل ، ولييد، و النوايع و العشي ، والأسود بن يعفر ، وصخر الغي ، وابن الصمة دريد والراعي عبيد ، وزيد الخيل (...)، وقال أبو الريان: لقد سميت مشاهير، وأبقيت الكثير قلت: بلى، ولكن ما عندك فيمن ذكرت ؟ قال: إما الضليل مؤسس الأساس وبنائه عليه الناس كانوا يقولون " أسيلة الخد"، حتى قال أسيلة مجرى الدمع، وكانوا

يقولون " تامة القامة " و"طويلة القامة " و جيداء " و" تامة العنق " وأشباه هذا حتى قال : " بعيدة مهوى القرط " ، وكانوا يقولون في القُرس السابق : " ويلحق الغزال والظليم حتى قال : " قيد الأوابد " ومثل هذا له كثير ولم يكن قبله من فطن لهذه الإشارات والاستعارات غيره (ابن شرف، د ت ، ص3،2). وكان يتميز بالموضوعية في طرحه للمسائل ، وقد أبان في كتابه إلى بعض النقود التي كان أصحابها يميلون لشاعر دون آخر تعصبا لمذهب أو قبيلة مهملين الجانب الإبداعي للشاعر، إن هذا الكتاب ينم على أن صاحبه كان عالما وناقداً وشاعراً ولا نجد أفضل من شهادة ابن بسام في وصفه: كان أبو عبد الله بن شرف بالقيروان من فرسان هذا الشأن واحد من نظم قلائد الآداب، وجمع أشتات الصواب، وتلاعب بالمنظوم والموزون تلاعب الرياح بأعطاف الغضون وبينه وبين أبي علي رشيق ماج بحر البراعة ودام، ورجع نجم هذه الصناعة واستقام (ابن بسام، 1979، ص170،169).

7. خاتمة:

وفي الأخير نخلص في بحثنا إلى بعض النتائج أهمها:

- تفنيد الرأي القائل بأن النقد المغربي بدأ في القرن السادس الهجري، وأنه يبدأ في القرن الثاني من القرن الرابع الهجري في الجزائر على يد عبد الكريم النهشلي في كتابه "المتع في علم الشعر وعمله".
- وجود مدرسة مغربية بامتياز قبل القرن السابع هجري.
- النقد المغربي كان دائما خزاناً لجميع الدراسات الأدبية والنقدية في الوطن العربي فعلى سبيل المثال لا نكاد نجد كتاباً في النقد إلا وجدنا فيه ابن الرشيق القيرواني.
- إن هذه المؤلفات التي تطرقنا إليها جديرة بالدراسة لما تحتويه من كنوز معرفية نقدية وأدبية.
- و في الأخير ننصح طلبة العلم و خاصة المهتمين بالنقد و الأدب على إعطاء الأولوية في بحوثهم ورسائلهم للنقد و الأدب المغربي فهو يغنينا عن كثير من الدراسات الأخرى.

8. قائمة المراجع:

1. ابن رشيق، أبو الحسن، (1406هـ - 1986م)، أنموذج الزمان في شعراء القيروان، (د.ط)،
الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ن.
2. ابن رشيق، أبو الحسن، (1972)، قراضة الذهب في نقد أشعار العرب، (د.ط)، الشركة
التونسية للتوزيع، د.ن.
3. ابن رشيق، أبو الحسن، (1981)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، (ط5)، دار الجيل
للنشر والتوزيع والطباعة، سوريا.
4. ابن شرف، أبو عبد الله محمد، (د.ت)، مسائل الانتقاد، (د.ط)، د.ن.
5. بن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد، (1972)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،
(د.ط)، دار صادر، د.ن.
6. بوديسة، بولنوار، (2008 - 2009م)، الخطاب الشعري المغربي من خلال كتاب "أنموذج
الزمان في شعراء القيروان" دراسة أسلوبية، أدب مغربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة
الحاج لخضر، باتنة.
7. الحصري، أبي إسحاق إبراهيم بن علي، (1929)، زهر الآداب وثمر الألباب، (د.ط)، دار
الجيل، بيروت، د.ن.
8. خلدون، بشير، (1981)، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، (د.ط)، الشركة الوطنية
للنشر والتوزيع، د.ن.
9. الشنترنبي، أبي الحسن علي ابن بسام، (1979)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، (ط1)، دار
الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع.
10. القزاز، عبد الله محمد بن جعفر، (1982)، ما يجوز للشاعر في الضرورة، (د.ط)، دار
العروبة بالكويت ودار الفصحى بمصر، د.ن.
11. قلقيلة، عبده عبد العزيز، (1988)، النقد الأدبي في المغرب العربي، (ط2)، الهيئة المصرية
العامة للكتاب، د.ن.

12. مرتاض، محمد، (2000)، النقد الأدبي القديم في المغرب العربي نشأته وتطوره دراسة وتطبيق، (ط1)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ن.
13. مقالتي، فريدة، (2008، 2009م)، نظرية الشعر عند ابن رشيق القيرواني، الأدب المغربي القديم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة.